

ما بين عمران وإيلان "جدار" نورا ناجي... كتابة للتطهر



"كانت أُمي تخبرني دائمًا، أن الملائكة تحمي الصغار من الألم، تلهو معهم لتشغلهم عن أي شيء آخر، تحملهم معها عندما يموتون لتدخلهم الجنة فورًا، لكنني أعرف أنها كاذبة، أُمي المسكينة، كانت دائمًا ما تجد أي سبب يمنحها بعض الأمل في العالم".

في الأيام الماضية انتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي صورة الطفل السوري ابن الخمسة أعوام "عمران داقنيش" وهو يبدو كتمثال وينظر بعيون ذاهلة إلى الكاميرات، بعد خروجه من تحت ركام منزله الذي تعرض لغارات جوية نفذتها مقاتلات النظام السوري أو الروسي الموالي لبشار الأسد، على حي القاطرجي في مدينة حلب السورية.

تلك الصورة التي تم تداولها سريعًا وتسببت في بكاء مذيعة الـ N.N.C، وقارن النشاط حول العالم بينها وبين صورة الطفل السوري الآخر "إيلان"، الذي غرق على سواحل تركيا العام الماضي إثر انقلاب قاربهم أثناء محاولتهم الوصول إلى جزيرة كوس اليونانية.

Choices for Syrian children ...



if you stay



if you leave

Khalid Albaih

وتوقع البعض أن تُحرك صورة عمران قلوب العالم ويُجبرهم على اتخاذ خطوات قوية وإجبار الحكومات على إنقاذ ما تبقى من أطفال سورية، في حين رأى آخرون أن صورته ستجاور صورة إيلان وستهدأ شعلة الألم والقهر بعد ساعات من تداول الصورة عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

”هل تعذب الصغير المسكين؟ لا أعتقد، أتمنى لو لم يكن قد تعذب، ربما شعر بالرغبة في النوم وسط البحر البارد، ربما نام فورًا من دون أن يتألم“.

جسيم الكوايس والحقيقة

في روايتها الثانية، التي صدرت عن دار الرواق في يوليو 2016، تسلط نورا ناجي، الضوء على كل القبح والسادوية التي تجتاح العالم، لتؤلمنا ونحن نتوغل في سطور روايتها التي كتبتها بكل ما يعتمل في داخلها كـ ”أم“ تخشى حد الجنون على طفلتها التي جاءت هذا العالم على حين حروب دموية مستعرة، بالرغم من أن صفحاتها العشرون الأولى قد توحى للقارئ أنه أمام رواية رومانسية مستعادة، عن فتاة أحببت بإخلاص، ثم خذلها من أحببت.

”جمع الصور الوحشية المؤثرة، هي هوايتي الغربية، صور أطفال محترقين، نساء يحاولن مقاومة موج البحر، وهن يحملن أطفالهن الرضع الميتين“.

بدأت الكاتبة أحداث روايتها التي قسمتها لثلاثة أقسام حسب المكان (القاهرة - دبي - سيول) قبيل الثورة المصرية، واستعرضت قصة حياة ”حياة“ خلال 7 سنوات وما طرأ عليها من تغيرات درامية مهولة ومربكة في حكي رائق ذي لغة رصينة ومفردات قوية بعيدًا عن التحذلق، أو العذوبة الفجة التي تطفئ على الكتابات النسائية في كثير من الأحيان.

الحروب تصل إلى أبعد نقطة في الأرض

تبدأ "نورا" الرواية بجولة هجومية أثناء جلسة علاج نفسي لـ "حياة" في سيول عام 2015، تستعرض فيها ما قد يسببه متابعة الأخبار حول العالم من ثقل وإرهاق جسدي ونفسي، مبررة لنفسها ولطبيبها الذي طالبها بالتوقف عن متابعة هذا النوع من الأخبار السودوية المقطرة بالدماء والعنف ومزينة بصور الضحايا بأنه لا يوجد خبر لا ينتشر، متهمة إياه بالتظاهر بالجهل.

"الجهل مريح، الجهل يمنحك الفرصة، للنوم بضمير مستريح كل ليلة، الجهل هو ما يفرّق بيني وبينك، الجهل لا يحولك لمعتوه مثلي، تزوره الكوايبس في فراشه، وهو نائم وهو مستيقظ".

لا أنكر انبهارني بقدرة الكاتبة على امتصاص كل ما مرّ عليها بحكم عملها - وإيائي - لفترة من الوقت في موقع إخباري وبالتحديد في قسم يهتم بمتابعة الحوادث حول العالم ورصد ردود الأفعال عليها وتعليقات النشطاء والمغردين عليها في مواقع التواصل الاجتماعي وترجمة ما قيل عنها في المواقع الأجنبية، ومن ثم إدراجه بحرفية عالية في رواية محبوكة الأحداث.

لأكتشف بعد قراءة الرواية أن الكاتبة التي كانت تهرب في كثير من الأحيان من تكليف الكتابة عن أخبار تخص أطفال غرقى أو محترقين أو معذبين أو مفقودين تحت ركام منازلهم بفعل القصف، وتعلن لنا بوضوح في "جروب الخاص بالقسم" أنها لن تكتب عن الخبر أو تجمع مادته من الإنترنت حتى لا تطالع الصور والقصص، كانت تعود بعيداً عن مهام العمل، لتقرأ هذه القصص وتتمعن في ملامح الأطفال وتبكي بشدة ينخلع لها قلبها، لتزداد هواجسها ورعبها الشخصي من أن العالم مكان موحش ومخيف، تخشى على طفلتها الصغيرة منه.

الجدار

فبطلة الرواية والتي هربت من القاهرة إلى دبي بعد التنحي بشهور قليل، بسبب صدمة عاطفية مؤسفة، تجد عملاً لها كمحررة صحفية في سيول - أو أبعد نقطة في العالم كما تحب الكاتبة أن تُسمي المدينة - لتقوم بترجمة الأخبار والكوارث الخاصة بالشرق الأوسط من العربية والإنجليزية إلى الكورية، ثم تتماهى مع الأحداث الرهيبة، فتقوم بتجميع صور كل المفجوعين حول الأرض، وتطبعها ومن ثم تعلقها على "جدار" مواجه لسريرها.

لا تعرف حياة لماذا تفعل ذلك، لكنها تواصل هذا الفعل بدأب ودون ملل أو كلل، كأن تجميع هذه الصور التي لا تنضب هو لعنتها السيزيفية، تجلس في الظلام كل ليلة، وتُخرج كشافها الصغير وتسلطه على صور بعينها، ليخرج لها أصحاب الصور، ويشاركونها قصصهم بتفاصيلها البشعة المؤلمة، وتجبرنا "نورا" على معرفة هذه التفاصيل إن كان سبق لنا وغضضنا البصر عنها.

"أطفال بحفاضاتهم، أطفال من كل الأعمار، مصفوفون على الأرض، يبدون وكأنهم نائمون، لكنهم زرق البشرة، الأزرق يغطي وجوههم، أجسادهم، شفاههم، ماتوا نياماً، هم وآباؤهم، وأمهاتهم، وإخوانهم، وأجدادهم، ماتوا هم وألعابهم، وقططهم، وملابسهم الجديدة، ماتوا واستمر العالم في الحياة بشكل عادي، وكأنهم هباءً منثور".

ليبدو لنا أن البطلة أرادت أن تتطهر مما مرّ بها في المواقع الإخبارية، بوضع صور هؤلاء الضحايا على الجدار، وكأن ممارسة فعل الحياة، بعد بشاعة رحيلهم، إثم يتوجب عليها التطهر منه، وها هي بفعاليتها هذه تربت على أيديهم وتُخبرهم أن هناك في مكان ما، من يعرفكم ويأسف لرحيلكم ويُخثد ذكراكم.

نهاية سعيدة لعالم بائس

لم تقفز الكاتبة بنا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب كما يفعل البعض حين يُقرر أن يتخلى عن سوداوية ما يكتب في آخر فصل من العمل، بل بدأت روايتها بقاء البطلة مع طبيب نفسي، وحاولت الكاتبة أن تشد من أزر البطلة وتُخلصها مما تنوء به، خلال فصول الرواية التي جاءت غير متتالية

الأحداث، لتبدو لنا النهاية كقراء، طوق نجاة مما أجبرنا على الخوض في تفاصيله. لتقتنع البطلة أن كل هؤلاء الضحايا، في مكان أفضل، وأن الموت ليس نهاية بشعة كما تتصور، على العكس، الموت يضع نهاية ليران القصف والأمواج العاتية الباردة، وصوت القنابل والانفجارات، أما ألم الموت، فأظن أن البطلة، صدقت - أو أرادت أن تُصدق - ما سبق وأن قالتها أمها: الملائكة تحمي الصغار من الألم، تلهو معهم لتشغلهم عن أي شيء آخر، تحملهم معها عندما يموتون لتدخلهم الجنة فورًا.

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/13574/>